السنة الثقافية المصرية - التونسية احتفاء بتاريخ مشترك

التظاهرات الثنائية أفضل من فوضى المهرجانات العامة لولا حصرها في المكرسين

باتت الكثير من البلدان العربية تقيم فعاليات ثقافية وفنية ثنائية مشتركة، تركز على التعاون بين قطرين وتكون مركزة أكثر من التظاهرات العامة، وهذا ما أثبتته تجارب العمل الثنائي التي كان تأثيرها عميقا، لولا أنها تعاني من ترسيخ الأسماء والتجارب المكرسة وتجاهل "الهامشيين"، وهو تقسيم لا يتوخى الإبداع بل القرب من النظام السياسي ومراكز السلطة والبعد عنها.

شرم الشيخ تحتفي بالمسرح التونسي (عرض «خدامة» من مسرح الشارع)

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

إقامة ما يعرف بـ"السنة الثقافية المشتركة" بين بلدين عربيين بحجم تونس ومصر، هي بمثابة السنّة الحميدة التي يمكن أن تقتفي أثرها بلدان عربية أخرى عبر اتفاقيات مشتركة.

هذه "السنوات الثقافية" لا يمكن لها أن تؤتي أكلها إلا بإشراف واستشارة أهل الشأن الثقافي، وليس فئة الإداريين البيروقراطيين من أولئك الذين ينزعون نحو المحاباة والمحسوبيات فيمنحون امتيازات السفر والمشاركة لفئة دون غيرها.

بين تونس ومصر

المشكلة في العمل العربي المشترك أنه عادة ما يأخذ طابعا رسميا محنطا، يهتم بالوجوه الملمعة والمكرسة من طرف جهات حكومية، ويتجاهل "غير المرغوب فيهم" من المثقفين والفنانين، فكأنما المسألة تتعلق باختيار أعضاء بعثة دبلوماسية، وليس بتمثيل ثقافي يستند إلى الحوار والتنوع والاختلاف.

> التظاهرات المشتركة بين دولتين عربيتين من شأنها أن تعطي نتائج أفضل من المهرجانات والتظاهرات العربية العامة

ولا يمكن لمثل هذه التظاهرات الثقافية المشتركة أن تنجح دون هوامش من الحريات تتجنب التهميش وتقبل بالتنوع والانفتاح على كل الحساسيات الثقافية في البلد الواحد، بغية التفاعل الإيجابي وإمكانية التعاون من أجل الإنتاجات المشتركة بين البلدان العربية، بعيدا عن المنطق الرسمي والمؤسساتي وحده.

وفي إطار إعلان 2021/ 2022 سنة الثقافة التونسية – المصرية، التي جرى إقرارها بين البلدين على أعلى المستويات، شهدت تونس ومصر عدة نشاطات وتظاهرات واتفاقيات ثقافية من شأنها أن تزيد من تمتين الجسور التاريخية بين البلدين اللذين يشتركان في موروث ثقافي وفكري يعود إلى عصر ما عرف بالنهضة الثقافية العربية بدايات القرن الماضي، حيث يحلو للكثير من الدارسين إجراء مقاربات بين مشروعي التنوير في كلا البلدين.

قد تبدو مقارنة تونس بمصر من حيث الفاعلية الثقافية والسياسية غير منطقية، وذلك لاعتبار الفارق في التعداد السكاني، لكن تونس كانت تضاهي شقيقتها الكبرى في مجالات عديدة منذ مشروع محمد علي باشا الإصلاحي، إذ وقعت تونس اتفاقية "عهد الأمان" وأنشأت أول دستور في العالم العربي.

ويرصد الدارسون عدة مقاربات بين تونس ومصر تبدأ بالتعاون بين مؤسستي الزيتونة والأزهر في مجال الفقه والتشريع، مرورا بالأدب والمسرح والموسيقى والسينما، ووصولا إلى المهرجانات والتظاهرات الثقافية والفنية التي تقام اليوم، ويقع التنسيق والتعاون بينها بصرف النظر عن المنافسة المشروعة وادعاء الريادة والأسبقية لمهرجان على نظيره الآخر.

العلاقة بين مصر وتونس لا تخلو من حساسيات لدى كل فريق من البلدين، منذ ستينات القرن الماضي، إذ يكفي أن يتزعم كل من الحبيب بورقيبة وجمال عبدالناصر مدرستين سياسيتين مختلفتين، فالأول عرف بالواقعية السياسية، أما الثاني فكان من مناصري القومية العربية.

وبطبيعة الحال كان لكل زعيم شيعة وأنصار ومؤيدون على مستوى الجبهة الثقافية. أما اليوم، وبعد انقشاع ضباب الأحلام التفت البلدان إلى إصلاح ما يمكن إصلاحه من أخطاء الماضي عبر التنسيق والعمل المشترك، خصوصا وأنهما ينتميان إلى ما عرف بدول "الربيع العربي"، ويعملان على التخلص من الفكر الإخواني الذي يسعى لنخر الدولة والمجتمع.

مبادرات مشتركة

كل المؤشرات تبدو إيجابية على مستوى إنجاح السنة الثقافية التونسية المصرية، فما كاد البلدان يتعافيان نسبيا من جائحة كورونا التي عطلت مجمل النشاطات الثقافية، حتى استأنفا ما نصت عليه تلك الاتفاقيات الموقعة بين المسؤولين الثقافيين في كلا البلدين.

ها هو توقيع مذكرة تعاون ترى النور بين المعهد الوطني للتراث ووكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية من جهة والمجلس الأعلى للتراث المصري من جهة أخرى، عملا على دعم جهود تثمين التراث والاستفادة من التجارب النموذجية للبلدين في مجال السياحة الثقافية، إلى جانب الاتفاق على تنفيذ توأمة أولى بين دار الكتب الوطنية التونسية ومكتبة الإسكندرية في إطار دعم دور الكتاب في بناء المجتمعات وتكوين الأجيال، وثانية بين مدينتين تاريخيّتين هامتين من البلدين.

ومن جهة ثانية تناول الطرفان المصري والتونسي أيضا محور المشاركة المصرية في فعاليات الدورة 36 لمعرض تونس الدّولي للكتاب التي ستنطلق يوم الحادي عشر من نوفمبر، والتي ستشهد حضورا أدبيا هاما للجناح المصري بالمعرض تزامنا مع إقرار السنة الثقافية التونسية – المصرية.

وفي المجال الفني اتّفق الطرفان على التعاون وتبادل الخبرات في مجال رقمنة المخزون السينمائي، واقتراح أن تكون مصر ضيفة شرف على تظاهرة "أيام قرطاج المسرحية" المزمع تنظيمها في شهر ديسمبر المقبل، وبرمجة عدد من السهرات الفنية والموسيقية الكبرى في تونس ومصر بمشاركة عدد من المبدعين والفنانين من البلدين.

ولكي لا يتهم المرء بالنظر فقط إلى النصف الفارغ من الكأس، فإن مبادرات ثقافية كثيرة أقيمت هذا العام في مصر احتفاء بتونس كقطب فاعل ونشيط في المشهد الثقافي العربي على مستوى المسرح بالذات.

وفي هذا الصدد شاركت تونس كضيف شرف في الدورة السادسة لمهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي الذي ينتظم من السادس إلى الحادي عشر من نوفمبر 2021.

كما عقدت يوم الأحد الماضي، اليوم الثاني للمهرجان، ندوة حول المسرح التونسي حيث تم تكريم رائد من رواد المسرح التونسي المخرج الراحل عزالدين قنون. وتسلّمت ابنته الفنانة سيرين قنون درع التكريم.

مثل هذه التظاهرات المشتركة بين دولتين عربيتين من شأنها أن تعطي نتائج أكثر من المهرجانات والتظاهرات العربية العامة، من ذلك الصنف الذي يعم فيه الضجيج وتتشتت الأفكار دون الخروج بنتائج فعالة.

الشأن الثقافي ينبغي له أن يناقش برؤوس باردة، ولدى أهل الاختصاص في مثل هذه التظاهرات الثنائية التي تتطلب التركيز والبحث الجاد في التعاون المشترك، أما المهرجانات العامة التي يشارك فيها أكثر من عشرين بلدا فتبقى احتفاليات جماهيرية لا بد منها، لكنها غالبا ما تنتهي إلى أن يعود كل وفد إلى بلده دون أن يقبض على شيء.

إذا كان من الضروري توجيه انتقاد إلى السنة الثقافية المصرية التونسية، فإنها اهتمت بالملمع والمكرس والمتوقع، وأغمضت عيونها عن المهمش في كلا الثقافتين.

رواية مصرية - كندية أبطالها لاجئون تتوج بأكبر جائزة أدبية في كندا

تورونتو (كندا) - فاز الروائي والصحافي الكندي من أصل مصري عمر العقاد بجائزة سكوتيابنك جبلر، أكبر جائزة كندية في الرواية وتبلغ قيمتها 100 ألف دولار كندي هذا العام.

وحصل العقاد على الجائزة عن رواية "يا لها من جنة غريبة" أثناء حفل في تورونتو بثه التلفزيون مساء الإثنين.

وتدور أحداث الرواية التي نشرتها دارنشر "ماكليلاند آند ستيوارت" حول طفلين أثناء أزمة اللاجئين العالمية، وما يخلفه ذلك لدى طالبي اللجوء هربا من الموت من خيبة بأن الجنة التي حلموا بالفرار إليها ليست كذلك في واقع الأمر.

وقد لفتت ظاهرة اللجوء في الرواية العربية اهتمام العديد من النقاد والباحثين، نظرا إلى غزارة النتاج الروائي الذي تناولها في السنوات الأخيرة إثر استفحالها بسبب ويلات الحروب والكوارث وحالات القمع والاضطهاد في بعض الدول العربية.

وقد جرى تمييز سرديات اللجوء عن سرديات الهجرة وسرديات المنفى أو الاغتراب أو الشتات، على الرغم من اشتراك هذه السرديات في ثيمة عامة هي أزمة شخصية العربي قبل مغادرته بلاده أو بعدها قسرا أو طوعا، ومعاناته من القهر والانكسار والتمزق والنوستالجيا.

وتفهم هذه الظاهرة التي تتناولها الرواية من زوايا جديدة على أنها انعكاسات للمتغيرات الاجتماعية والسياسية التي تخلف تأثيرا بالغا في النصوص الأدبية المعاصرة. فمع ارتفاع وسائل التحرر وانفتاح الأقلام العربية على هامش أوسع من الحرية ومساحة أكبر من التجريب، انطلق الكثير من الأدباء في تماس جريء مع الواقع. ولا أدل على ذلك من انعكاس ظواهر العنف والتهجير والنفي والتعصب على الروايات التي تكتب اليوم على غرار الرواية المتوجة "يا لها من جنة غريبة".

وقالت لجنة التحكيم إن الرواية "تثير تساؤلات حول اللامبالاة والعجز، وفي نهاية المطاف تقدم أدلة على كيفية التواصل بشكل متعاطف في عالم منقسم".

وانتقل العقاد (39 عاما) إلى كندا عندما كان عمره 16 عاما، والتحق بالمدرسة الثانوية في مونتريال قبل أن يلتحق بجامعة كوينز في كينجستون بمقاطعة أونتاريو. وعاش في تورونتو مدة عقد تقريبا.

وتمنح الجائزة لمؤلف أفضل رواية أو مجموعة قصص قصيرة كندية تنشر بالإنجليزية.

عمر العقاد ينال أكبر جائزة أدبية كندية

«فاطمة.. حكاية البارود والسنابل» رؤية بانورامية للتاريخ الأردني الحديث

عمّان - يتخذ الدكتور محمد عبدالكريم الزيود من مدينة الزرقاء الأردنية مسرحًا لأحداث روايته "فاطمة.. حكاية البارود والسنابل"، الصادرة حديثا والتي وُصفت من نقاد بأنها عمل يستحضر الهوية بملامحها الإنسانية والمكانية، من خلال سيرة شخصيات تظهر عبرها ملامح الهوية بكامل تفاصيلها.

ورغم حيوية الشخصية الرئيسية في الرواية "فاطمة"، ومن أحاط بها من شخصيات فرعية، فإن الزيود نبه القارئ في مستهل العمل إلى أن "أي تشابه بين شخصيات وأحداث الرواية والواقع هو من وحي الصدفة ومن خيال الكاتب"، مبينًا أن أحداث الرواية وقعت خلال الفترة الزمنية الممتدة بين منتصف الأربعينات وبداية الثمانينات من القرن العشرين.

غير أن ما سبق لم يمنع الرواية، الصادرة عن "الآن ناشرون وموزعون" في الأردن في 222 صفحة من القطع المتوسط، من أن تحفل بجانب وثائقي سردت فيه بالتفصيل وقائع تاريخية بعينها، مثل نكبة 1948، ودور الجيش الأردني في الحرب العربية الإسرائيلية عام 1967، وطائفة من الأحداث الاجتماعية والسياسية التي شهدها الأردن والمنطقة العربية خلال السنوات المذكورة.

كما أن توثيق الأحداث واكبه سرد للسير الذاتية لشخصيات لعبت أدوارا محورية في الفترة نفسها، من سياسيين وقادة عسكريين وشيوخ قبائل، أو شخصيات أثرت في البنية النفسية والاجتماعية الأردنية، كعدد من الرموز الدينية والصوفية التي مازالت حية في وجدان الناس.

وقدمت الرواية بموازاة الشخصيات معالم المكان، في مسح تاريخي للأحداث وانعكاساتها على الجغرافيا، وجاءت وصفا عاما شاملا لحي الغويرية في مدينة الزرقاء، وقرية الهاشمية التابعة للمحافظة، مثلما تنقلت في الجغرافيا لتصل إلى مناطق مجاورة مثل العالوك وصروت والحوايا وبيرين وأبوخشيبة وسيل الزرقاء وغيرها كثير، مما أسهم في دمج القارئ بجو الرواية.

وامتد السرد من القرى إلى الجبال والوديان والمدارس، فالمواسم والعادات والأدوات، وجعل للحوارات التي تبادلتها شخصيات الرواية قدرة على بيان ما كانت تموج به الأجواء من هموم وآراء وصراعات، وجسّت في الوقت نفسه تأثر الأردنيين بأحداث المنطقة في فترة تُعدُّ من أغنى الفترات التاريخية بالأحداث.

ويذكر أن محمد عبدالكريم الزيود حاصل على درجة الدكتوراه في إدارة الأعمال، وكان عمل في القوات المسلحة الأردنية وتقاعدَ برتبة مقدم ركن، وهو عضو رابطة الكتاب الأردنيين، ويعمل أستاذًا مساعدًا في قسم إدارة الأعمال في جامعة الزرقاء الخاصة وكتب مجموعة من النصوص الدرامية من بينها الفيلم التلفزيوني "الشهيد راشد الزيود.. قصة بطل" (2017)، والفيلم القصير "غريسا.. حكاية زمن" (2019)، وأصدر قبل هذه الرواية مجموعتين قصصيتين هما: "ضوء جديد" (2015)، و"وحيدًا كوتر ربابة" (2019).

وكما نلاحظ فإن الكتابة السينمائية التي كان للكاتب تجربة هامة فيها انعكست على هذه الرواية التي جاءت مشاهدها مشغولة بعناية وكثافة، لتصور عوالمها بدقة ودون إفراط في الوصف أو تداع للأفكار أو إغراق في لغة شاعرية بشكل مجاني، وهو ما يحسب للمؤلف في عمله الجديد، الذي يقف بين التاريخي والاجتماعي والواقع والتخييل.

الرواية تحفل بجانب وثائقي تسرد فيه بالتفصيل وقائع تاريخية عاشها الأردن منذ منتصف الأربعينات وبداية الثمانينات